غَلَقْشيون وزوجتهُ ابيستيمة (١. وفي هذه المدينة ايضاً وُلد في اواسط القرن الخامس القديس رومانوس الشمّاس الذي اشتهر بعدئذٍ في بيروت وكتب التسابيح الكنسية (٢

اما مشاهير الادباء والكتبة الذين يفتخر بهم اهل حمص فكثيرون نكتفي بذكر لنجينوس (Longin) الفيلسوف الشهير الذي اختصّتهُ زينب ملكة تدمر بخدمتها (٣. ومنهم في زماننا الشاعر النصراني المشهور بطرس كرامة الحمصي

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر حمص القديمة اما حمص الحديثة فلا نتعرّض لوصفها. والأولى انّ احد ابنائها يقوم بهذا المشروع فينعتها بما هي اهل لهُ والسلام

اشتراك الكهنة بالتقديس

لحضرة الاب جان باريزو من رهبانيّة القديس بارك

١

(كنّا اثبتنا في بعض اعداد المشرق (ص ٤٣٠) على هذه المقالة واشرنا الى ما تتضمّنهُ من الابحاث المهمّة لمعرفة اصول الطقوس الشرقيّة. فسألنا بعض ارباب الدين ان نترجمها لهم ليقفوا على فوائدها وينسجوا على منوالها فلبّينا الى طلبتهم بعد نوال الرخصة من صاحبها)

لا يخفى انّ اوّل من تعهدُ اليه الكنيسة القيامَ برُتبها المقدّسة انّما هو الاسقف ثمّ فرضت على الكهنة الذين تحت سلطته ان يصحبوا الحبر في تتميم هذه الطقوس الجليلة فيحوزوها بحيّته (٤

ولمّا كانت هذه الرتب في اوائل الكنيسة تتمّ على نظام خصوصي ترى المجامع المقدّسة تكرّر في قوانينها الامر للكهنة بان لا يقوموا بشيء من الخدَم الدينيّة بمعزلٍ عن الاسقف. ولا يباشروا رتبةً ما بحضوره ولاسيّما تنهاهم عن تقريب القربان امامهُ. قال القديس اغناطيوس الشهيد في رسالته الى اهل ازمير (٥: «فليحظر الكهنة ان يتولّوا بنفسهم دون الاسقف شيئاً من الخدَم الكنسيّة. وليعلموا انّ القربان ليس بشرعيّ ثابت (βεβαία)

١) Ib., I, 293 ٢) Ib., I, 316

٣) راجع ترجمة لنجينوس التي كتبها سويداس (Suidas)

٤) راجع مقدّمة تكريس الكهنة حسب رتبة الطقس الروماني (Pontifical romain)

٥) راجع مكتبة الآباء الكنسيّة اليونانية (Migne, V, 713)

الّا اذا قرّبهُ الاسقف او الكهنة الذين فوّض اليهم ذلك اسقفهم. . فبدون الاسقف لا يسوغ للكاهن ان ينصّر احدا او يعقد حفلة القربان"

وكانت الرسوم القديمة تنهى عن نصب مذابح كثيرة في كنيسة واحدة وتأمر بتقدمة ذبيحة واحدة في النهار على المذبح الوحيد المنصوب فيها. وكما انّ الكنيسة حتمت على المؤمنين بحضور هذا القدّاس الحافل في أيام الاعياد و بتقدمة ما سمحت به انفسهم من التقادم وباقتبال سرّ القربان هكذا افترضت ايضاً على خدّمة الدين ان يحضروا في تلك الأيام لتتميم واجبات مراتبهم كلٌّ على حسب درجته. فكان الشمّاس الرسائلي ينجز الرُّتب السنلي والشمّاس الانجيلي يخدم الكهنة في المذبح امّا الكاهن فكان يشترك بالذبيحة اشتراكاً تامّاً ليس فقط بالتقرّب كبقيّة المؤمنين لكن ايضاً بانجاز الذبيحة بصحبة الاسقف

فهذه كانت العادة الجارية في غرّة النصرانية. وجاء في كتاب الرسوم الرسولية (١: «انّهُ يُقتضى عن الكهنة ان يقفوا على يمين الاسقف وشماله في وقت اقامة التقديس كما كان التلاميذ محدقين بالربّ في العشاء السرّي. واذا صلّى الجبرُ بخفوت الصوت عليهم ان يقتدوا بمثاله». فيتّضح من هذا القول انّ الكهنة كانوا يحضرون الذبيحة اذا قدّمها الاسقف ويشاركونهُ في العمل

وفي قوانين مجمع قنصار (Néocésarée) المنعقد قبل المجمع النيقوي (سنة ٣١٥) كلام صريح عن تقدمة الكهنة للذبيحة مع الاسقف. فانّ الآباء يحظرون على الكهنة الغرباء ان يقاسموا اسقف البلدة وكهنتها في الذبيحة اذا اتوا مدينة غير مدينتهم وقد استثنوا من هذا الحكم من كانت لهُ رتبة الخوريبسقوفس فيسمح لهُ «ان يشارك في الذبيحة العمومية» من يتولّى تقدمتها وذلك اجلالاً لشأنهِ (٢

ولنا شاهد آخر لا ريب فيهِ على هذه العادة في ما اثبتهُ باسيانوس اسقف افسوس في المجمع الخلقيدوني بخصوص احد كهنتهِ المدعو اسطفانوس قال (٣: «وكان اسطفانوس احد كهنتي قدّم معي الذبيحة مدّة اربع سنوات وتقرّب معي وتناول من

---

١) راجع Pitra: *Juris Eccl. Græc. Historia*, p. 399, Constit. Apost. VIII, 12

٢) راجع الكتاب نفسهُ ص ٤٥٣ و ٤٥٤

٣) راجع مجموع قوانين المجامع (Labbe, IV, c. 695)

بدي انا اسقفهُ » وشهد ايضاً ان اساقفة زمانهِ اذا وُجدوا سواء قدموا الذبيحة معاً (λειτουργήσαντες πάντες ὁμοῦ)

وقد ورد في ردّ القديس اثناسيوس على اشياع آريوس انَّ اليخياس احد كهنتهم « لم يشارك قطّ الاسقف في التقديس مع غيرهِ من الكهنة » (١

وممَّا يُخبر عن القديس سمعان العمودي انَّ اسقف انطاكية دُمنوس اتاهُ ليزورهُ فقدَّس كلاهما في وقت واحد وقدَّما جسد المسيح الطاهر ثم اقتبلا القربان الاقدس من يد بعضهما بالمناوبة (٢

وقد بقي شيء من هذا الطقس الى عهدنا اليوم في المشرق كما سنبيّن. اما المغرب فقد جرى على هذه العادة الى غاية القرن الثالث عشر والادلَّة على ذلك كثيرة في كتب المؤلفين الكنسيّين فان استقرينا شواهدهم ادركنا حقيقة هذه الرتبة عندهم

ذكر التاريخ عن القديس پولينوس النولي انَّهُ استقدم الاساقفة عند وفاتهِ (سنة ٤٢٦) وطلب اليهم ان يقدّموا جميعاً الذبيحة القدسية امامهُ لكي يشترك معهم بتقدمتها وينال بحسن دعائهم رحمةً من الله عند تفارق روحهُ جسدهُ. ثمَّ رخَّص للذين نفاهم عن مشاركة الاسرار ان يعودوا اليها في تلك الساعة ليحتهم قُبلة السلام (٣

ومن رسوم مجمع طليطلة (سنة ٤٠٠) ان يحضر الكهنةُ والشمامسة كلَّ يوم الذبيحة الالهية (٤. وحتم كذلك مجمع طرّاغونة (سنة ٥١٦) على كلّ الاكليريكيين ان يجتمعوا ويستعدّوا منذ مساء السبت لرتبة يوم الاحد فيحضروا حفلتها جميعاً (٥. وقد بيَّن مجمع اقليم ارقونية (سنة ٥٨٥) معنى هذا الرسوم فقال (٦ : « ويُفرَض على كهنة المعابد وكانس القرى في ايام الاعياد الاحتفالية كعيد الميلاد والفصح والعنصرة ان يجتمعوا في المدينة عند اسقفهم ولا يجوز في مثل هذه الايام ان تُقام الذبيحة الَّا في البيعة الاسقفية ». وهذه القوانين تُشعر بانَّ الكهنة كانوا يشتركون مع الاسقف في تقدمة القدّاس ولولا

---

١) راجع اعمال الاباء اليونان (Migne, XXV, 296)
٢) راجع التاريخ الكنسي لايڤغريوس ك ١ ف ١٣
٣) راجع اعمال الاباء اللاتينيين (Migne, LIII, 860-861)
٤) راجع مجموع قوانين الجامع (Labbe, II, 1224)
٥) Idem, IV, 1564 ٦) Ib., IV 1806

ذلك لوجب القول انَّ الكهنة لم يقدّسوا في الاعياد الاحتفالية وهذا امرٌ غريب لم يمكن التسليم به

وكذا يُخبَر عن القديس غريغوريوس البابا انَّهُ لمَّا قدم عليهِ وَفد بطريرك القسطنطينية قرياقوس أذِن لهم بان يشتركوا معهُ في تقديس الذبيحة (١ . وبخلاف ذلك نرى رُسُل البابا يوحنَّا الثامن يأبون ان يقيموا القداس مع بطريرك القسطنطينية لان الحبر الروماني لم يسمح لهم بذلك (٢

وشهد أمالار في كتابهِ عن الرتب الكنسية (٣ على عادة كنيسة رومية بهذا الشأن قال: « وفي رومية العظمى يُساعد الكهنةُ الاسقفَ في اثناء الذبيحة ويوافقون الحبر بصوتهِ وحركاتهِ » . وفي هذا القول دليل على انَّ المشتركين في التقديس كانوا يتلون الصلوات التي يجاهر بها الاسقف ويرتمون على مثالهِ العلامات الطقسية . وقد نقل كثيرون في الكتب الليتورجية ما اوردهُ امالار المذكور . . .

وكانت كنائس فرنسة تجري هي ايضاً على هذه العادة فيتَّفق الكهنة مع الاسقف للتقديس . يتقدَّمون معهُ الى الهيكل ويقبلون منهُ قُبلة السلام ويجلسون اذا جلس ويقدّمون تقادمهم في اثرهِ ويشاركونهُ في تقديس جسد الربّ (٤ . ولملَّ الاساقفة كانوا يتناولون القربان من ايدي بعضهم بعضاً كما مرَّ عن القديس ثمان العمودي (٥

وذُكر في كتاب أمضاهُ اكليروس مدينة رِمس انَّ رئيس اساقفتهم إبُرن لمَّا عاد الى كنيستهِ (في سنة ٨٤١) دخل البيعة وبصحبتهِ خمسة اساقفة وبعض كهنة فرافقوهُ الى كرسيّهِ وجلسوا معهُ يباشرون كلَّ رُتَب القدَّاس الالهي (٦

وكان للبيعة الرومانية بعض عوائد خصوصيَّة لم تعمّ غيرها من كنائس الغرب . ففي

---

١) راجع مكاتيب القديس غريغوريوس في مجموع اعمال الاباء اللاتينيين (Migne, LXXVII, 892)

٢) في مجموع اعمال الجامع (Labbe IX, 142)

٣) في الكتاب الاوَّل الفصل الثاني عشر (Migne, CV, 1016)

٤) راجع كتاب امالار في شرح القداس (Migne, *l. c.*, 1244, 1317, 1321)

٥) يؤخذ ذلك من قول امالار في الكتاب المذكور (Migne, *l. c.*, 1328):

« Solent aliqui episcoporum quando invicem communicant tres portiones facere de oblatâ »

٦) راجع كتاب (Gallia Christiana, X, *Suppl.* p. 6)

الاربعة الاعياد الآتية وهي الفصح والعنصرة وعيد القديس بطرس هامة الرسل وعيد ميلاد الرب كان يجتمع الكرادلة من رتبة الكهنة للتقديس فيعطى كلٌّ واحد منديلًا يضعهُ على يديهِ ثمَّ يتقدَّم لهم كبير الشمامسة ثلاث خبزات. فاذا ما رقي الحبر الى المذبح قام الكهنةُ حولهُ على يمين الهيكل وشمالهِ في باحة الكنيسة فيتلون كلام التقديس معهُ على الخبزات التي في ايديهم. الَّا ان الاسقف وحدهُ كان يرسم اشارة الصليب على الكأس يمينًا وعلى الخبز شمالًا. وسبب هذا الاختلاف في كنيسة رومية وفرة الكرادلة المشاركين للحبر الروماني في التقديس. فكانوا لو احاطوا بهِ عند المذبح وقدَّسوا الاسرار بقربهِ لم يتهيَّأ للمؤمنين ان يروا الاسقف ويسمعوا صوتهُ فلذلك تحتَّم إبعادهم عن الهيكل وتقديسهم على تقادم خصوصية كانت في ايديهم فتشغلهم عن الحركات الطقسية (١

وكان الكرادلة في غير هذه الاعياد الاربعة يحضرون فقط القدَّاس الحبري ويتقرَّبون الى قبول الاسرار من يد البابا. وكانوا اذا حان وقت الكلام الجوهري سجدوا وراءهُ صفوفًا مع الشمامسة الانجيليين والرسائليين ولا يتلو كلام التقديس غير الحبر الروماني (٢

وبقيت هذه الرتب الى القرن الثالث عشر كما يشهد على ذلك البابا اينوكنتس الثالث في كتابهِ عن الذبيحة (٣ قال: « ويقوم الكرادلة الكهنة وراء الحبر ويشاركونهُ في التقديس حتى اذا انتهت الذبيحة تناولوا الاسرار من يدهِ اشارةً الى حضور الرُّسل حول المسيح في العشاء السرّي لمَّا قبلوا من يدهِ القربان الاقدس. امَّا اشتراك الكرادلة بالتقديس مع الحبر فذلك يبيّن لهم كيف تعلَّم الرسل من الربّ رتبة التقديس ليس الَّا »

وآخر شاهد على هذه العادة القديمة انَّما هو جاك دي ڤتري (المتوفى في سنة ١٢٤٠ وقيل ١٢٤٤) قال: « وقد جرت العادة ان يساعد الكرادلةُ الحبرَ الاعظم في تقدمة القداس ويشاركوهُ فيهِ » (٤. بيد انَّ هذين القولين الاخيرين لم يُذكَر فيهما شيء.

---

١) راجع كتاب الطقس الروماني في مجموع اعمال الاباء ك ١ ف ٨ (Migne, LXXVII, 995)

٢) راجع الكتاب نفسهُ *Ibid.*, 945, 974, 981

٣) في الكتاب الرابع ف ٢٥ (*Ib.*, CCXVII, 874)

٤) كتاب تاريخ الغرب ف ٣٨

عن مشاركة الكرادلة للبابا في تلاوة الكلام الجوهري معهُ

واما ما ذكرهُ العلاَّمة مابيليون (١ عن كُتراد اسقف اوستيا وغيليوم اسقف رمس انهما تدَّسا على مذبحين مجاورين في وقت واحد يوم دُفن الملك فيليب أوغست وانَّ الاكليروس كان يجاوب تكايهما مما نذلك يخرج عن موضوع كلامنا لانَّهُ يدلّ على تقدمة قداسين في وقت واحد لا على اشتراك اسقفين في ذبيحة واحدة

٢

وبطلت هذه العادة في رومية كما يظهر في اواخر القرن الثالث عشر . فانَّ دُوران دي سان پُرسيان (المتوفَّى سنة ١٣٣٣) كتب في شروحهِ على تأليف بطرس لُمبَرد: «انَّ عادة القدَّاس الاشتراكي قد انتسخت واننا لم نشاهد مطلقاً في طول مدَّة اقامتنا في جوار الحبر الروماني احداً يشارك البابا بالتقديس (٢ »

اما الاسباب لإبطال هذه العادة فمختلفة ولعلّ اولها انَّ الاحبار الرومانيين سكنوا في ذلك الوقت مدينة اڤينيون فلم يسمح ضيق كنيستها بمباشرة هذه الرتب الحافلة التي كانت تقتضي فسحةً كبيرة كما ترى في كنائس رومية . ولمَّا عاد البابوات الى ايطالية شغلتهم الشواغل وصدَّتهم فتن الايطاليين التي اضعفت قوَّة النصرانية في ذلك العصر عن تجديد هذه الرتب الجليلة

وزد على ذلك انَّ الرهبانيَّات كانت توفَّرت في تلك الاثناء فاعتاد الرهبان ان يقدّموا الذبيحة مرارًا في الاسبوع وذلك تنشيطاً لعبادتهم الخاصَّة او وفاء بما فُرض عليهم من القدَّاسات لراحة الموتى ولقبولهم حسنات الاوقاف . وعلى مثالهم اخذ الكهنة العالميُّون يقدّسون على انفراد

وجعل اللاهوتيون في ذلك الوقت يبحثون عن صحَّة التقديس الاشتراكيّ وتعدّدت

(١ . كتاب Vetera analecta, p. 384

(٢ . وكتب بطرس اميليوس (سنة ١٣٧٠) في كتاب الرتب ما نصُّهُ: «وفي القداس الثاني يوم عيد ميلاد الرب يناول البابا الاسرار لكل من ليسوا من رتبة الاساقفة لان الاساقفة قد حُتم عليهم ان يقدّموا الذبيحة على حدة» (Migne, LXXVIII, 1184)

الابحاث في ذلك وتضاربت الاراء حتى جزم كثيرون بعدم جواز الامر وسندوا قولهم الى حجج لا حاجة في تعدادها هنا (١

وعلى كلّ حال فانّهُ لم يبقَ اليوم في كنائس الغرب أثر لهذه العادة القديمة الّا في موقعين فقط اعني في يوم تسقيف الاساقفة ويوم رسم الكهنة

وتكريس الاسقف على حسب العادة المألوفة اليوم يتمّ قبل قراءة الانجيل. فاذا آن وقت التقدمة قام الاسقف الجديد على شمال المذبح وامامهُ كتاب القدّاس يتلوهُ مع الاسقف الذي سقّفهُ ويصنع معهُ كلّ الاشارات الطقسيّة ولا يتّخذ الاسقفان الّا قربانًا واحدًا وكأسًا واحدة ويتلوان صلوات التقديس على صورة لفظ الجمع (٢

وبعد ان يتقبل الاسقف القائم بالخدمة سرّ القربان تحت شكلي الخبز والخمر يقدّم للاسقف الجديد قسمًا من البرشانة المقدّسة ونصف مضمون الكأس فيتناولها وهو واقفٌ في مكانه

واذا كان عدد الاساقفة المكرّسين كثيرًا وقفوا في وقت التقديس على شمال الهيكل ولا سبب لذلك سوى حاجة الاسقف المتولّي الخدمة الى كتاب التقديس من عن يمينه وهناك يقف الكاهن المساعد لهُ. واذا نُقل كتاب التقديس الى شمال الهيكل انتقلت الاساقفة الجدد الى اليمين

وكانت قديمًا كتب الرتب تفرض على رئيس الرهبان بعد انتخابه ان يقبل القربان كالاسقف يوم تكريسه تحت شكل واحد (٣. امّا العادة الجارية اليوم في انتخاب هؤلاء الرؤساء فهي مختلفة فانّهم يحضرون فقط القداس ولا يشاركون المحتفل في التقديس وانّما يتقرّبون الى الاسرار وهم جاثون

امّا المقام الثاني الذي يشارك فيه الكهنة الاسقف في التقديس فهو يوم ارتقائهم الى منصب الكهنوت فانّهم يجثون وراء الاسقف او على احد جانبي الهيكل فيتلون معهُ كل صلوات القدّاس ويشاركونهُ في كلّ اقسام الذبيحة تالين معهُ ايضًا الكلام الجوهري

---

١) راجع De Lugo : *de Eucharistia* و Suarez : disp. LXI, sect. IV, 5 disp. XI, S. VIII

٢) راجع كتاب الطقوس الحبريّة الرومانية

٣) راجع كتاب طقوس الكنيسة القديمة (Martène, II, p. 67)

ويتناولون القربان من يدهِ تحت شكل واحد. وكانوا في سابق الزمان يقفون حول الهيكل ويتلون مع الاسقف كلّ صلوات القداس ويصنعون معهُ الاشارات الطقسية كأنهم يقدّمون الذبيحة ثم يتناولون من الشكلين (١. والعادة الجارية اليوم يرتقي اوّل استعمالها الى سنة ١٤٨٥

وليست رتبة الاشتراك في التقديس يومَ نَصب الاساقفة ورسم الكهنة الجدد من آثار عادةٍ قديمة. فانّنا لا نجد لها ذكرًا في كتب الطقس السابقة للقرن الثاني عشر. وقد ورد ذكرها في احد تآليف القديس توما الأكويني كعادة جارية في بعض الكنائس وذلك ليتّخذ المترشحون للاسقفيّة والكهنوت مثالًا يقتدون به عند تقدمتهم الذبيحة على حدةٍ. وعمّت هذه العادة كنائس المغرب بعد انعقاد المجمع التريدنتيني وتوحيد كتب الطقس على مقتضى اوامر الاحبار الرومانيين

اما في الاجيال المتوسطة فكانت العادة الشائعة ان يحتفل الاساقفة وحدهم يوم تسقيفهم بقداس احتفالي ونرى في كتب الطقس القديمة صورًا شتّى لرتبة قداس الاساقفة الجدد بل وللكهنة المرسومين حديثًا (٢ وكلُّ ذلك دليل على التقديس الشخصي الذي لم يشترك فيهِ احد مع المباشر للطقس

وقد يوجد عند الغربيين صنف آخر من اشتراك جمهور الكهنة في الاسرار ما خلا التقديس وذلك يوم خميس الاسرار عند تكريس الميرون فانّ الاسقف يقوم بهذه الرتبة بمساعدة اثني عشر كاهنًا لم يحضروا قط اجلالاً للاسقف لكنهم يشاركونهُ ايضًا في تجهيز الميرون فتراهم يفخرون على الاناء المحتوي لهُ ويعزّمون عليهِ ويصلّبون الى غير ذلك من الطقوس التي يسبقهم اليها الاسقف فيضعونها بعدهُ ...

وفي الكتب الطقسيّة التي كانت مستعملة في كثير من كنائس فرنسة آثارٌ باقيةٌ الى يومنا تنبئ بالعادة القديمة التي نحن في صددها. فهذه الليتورجيّات تعيّن عددًا معلومًا من الكهنة اللابسين القفّارة ليقوموا بجوار الاسقف او بقرب الهيكل ويتبعوا صلوات التقديس ...

---

١) راجع الكتاب السابق (Ibid., l. c.)

٢) راجع Muratori: *Liturgia Romana Vetus, Venise*, 1748, p. 427-431 ; Ménard: *Sacramentarium Romanum*, III, 227

٣

بقي علينا ان نذكر شيئاً من عوائد الشرقيين في الوقت الحاضر بخصوص القداس الاشتراكي . فالكنيسة اليونانية لا تزال الى يومنا هذا محافظة كلّ المحافظة على هذه العادة القديمة . فانّ الروم ومن يجري على طقسهم لا يقدّسون في النهار الّا قدّاساً واحداً على مذبح واحد . فاذا وُجد كهنةٌ كثيرون في بعض الكنائس اجتمعوا معاً لحفلة القداس العمومي

وهاك بالتلخيص ما ورد في كتاب الليتورجية المطبوع حديثاً (سنة ١٨٩٦) باليونانية في الاستانة بامر سينودوس الروم الارثوذكسي (ص ١٤٥ الى ١٥٠):

في ايّام الاعياد الاحتفالية المدعوّة بطقس القداس الاشتراكي ἱερατικὸν συλλειτουργόν انّها لعادة جارية بيننا ان يشترك كهنة كثيرون في التقديس . فاذا تمّت تلاوة الصلوات المفروضة وآنت ساعة الذبيحة يقوم الكاهن المعيّن في كلّ اسبوع لمباشرة الرتب فيعدّ اللوازم للذبيحة . امّا بقيّة الكهنة فلا يقومون اليه الّا بعد اقامة صلوات أخر يتناوبون في تلاوتها في الخورس فيمنح الواحد البركة ويتلو الآخر صلاة التريزاغيون ثم يعود الاوّل فيقول «لانّ لك المجد» والآخر «ارحم يا ربّ» الخ . فبعد ذلك يدخلون جميعاً قدّس الاقداس وبعد لبس البدلات الكهنوتية ينتصبون امام المذبح فيقوم في الوسط الكاهن المتولّي الذبيحة وعلى يمينه الشماس . امّا بقيّة الكهنة فعلى جانبي المذبح

« ثمّ يتقاسمون تلاوة الصلوات بصوت جهور على نظام معيّن . غير انّهُ اذا كُرّرت الصلاة مراراً ينبغي ان يعيدها الكاهن نفسهُ . امّا صورة كلام الرب « خذوا وكلوا » او « خذوا واشربوا منهُ جميعاً » فيتلوها الكاهن الاوّل بالرتبة وحدهُ . وكذلك يتناوب الشمامسة في تلاوة او ترتيل الصلوات المعيّنة اذا كثر عددهم »

ومن غريب الامور انهُ ربّما وجد كهنة وشمامسة يتّبعون الطقس اليوناني ولكن يباشرونهُ بلغات مختلفة كاليونانية والعربية والسلافية فتُتلى حينئذٍ الصلوات بكل هذه اللغات في القداس الواحد

واذا صار الطواف المعروف بالدخول العظيم يطوف الجميع فيحمل الكاهنُ المترئس الحفلة الكأس ويحمل الشماس الصينية وكلّ واحد من الكهنة شيئاً من ادوات التقديس

كالملعقة والحربة وغير ذلك. وعند قبلة السلام يأتي الجميع ويتلون الهيكل. وقبل تلاوة الكلام الجوهري ينزع الكهنة المشتركون في الذبيحة الغطاء الذي هو فوق التقادم فينفضونهُ معاً ويطوونهُ ويضعونهُ على الهيكل

وبعد ان يتناول الكاهن الاوّل القربانَ ينصرف عن الهيكل فيقترب كلٌّ من الكهنة بنوبته الى المذبح ويتناول من الشكلين. ثم يُعطى للشمامسة شيء من القربانة توضع في يدهم فيتناولونها بجانب الهيكل. ثم يعود الكلّ الى المذبح بعد قبولهم خمر البركة ويختمون القداس بالصلوات الاخيرة

وعند المنكبين بعض اختلاف في اتمام هذه الرتبة. فان الكهنة المشتركين في التقديس يتلون بصوت متخافت كلّ الصلوات التي يرتّلها واحد منهم ويصنعون جميعاً كلّ الاشارات والبركات الطقسيّة كما انّهم يتلون معاً كلام الربّ الجوهري على الخبز وعلى الخمر مشيرين اليهما وهذه الاشارة لم يَعُد لها ذكر في الكتب اليونانية الطقسية المطبوعة حديثاً في الاستانة

وقد جرت العادة في بعض كنائس المنكبين ان يخلع الكهنة الثياب الكهنوتية بعد المناولة فيتركوا الكاهن الاوّل يتمّم الفرض وحدهُ. بيد ان كثيرين لم يرضوا بهذه العادة ويعدُّونها خرقاً في الطقوس. امّا تلاوة الكهنة جميعاً الكلام الجوهريّ فقد اعتاد الامر كهنةُ المنكبين رغبةً في التقرُّب الى الكنيسة الغربية في الاجيال الاخيرة. وانّما الغالب على ظنّنا انّ العادة القديمة شرقاً وغرباً لم تختلف عمّا تثبتهُ اليوم الكنيسة اليونانية في كتبها الطقسية فانّ اشتراك الكهنة بالتقديس كان في الزمن الماضي واسع المجال فيشترك الكهنة جميعاً بالنية ويقتسمون بينهم اقسام الصلوات واتمام الرتب المختلفة ويتبعون اعمال الذبيحة ويتقرّبون الى الاسرار المكرّسة وقت الذبيحة تحت الشكلين

قال العلاّمة جيورجي (١ في هذا الصدد: نقلاً عن بنديكتوس الرابع عشر «انّ حقيقة هذه الرتبة ليست بمتوقفة على كون الكهنة جميعاً يتلون كلّ صلوات الذبيحة معاً. وهذا رأي موريني في كتاب الرتب المقدّسة اذ يقول: وكان الحبر الاعظم في بدء النصرانية يتلو الكلام الجوهري وحدهُ مع مشاركة الكهنة له في التقديس. ثم بعد توالي الاجيال

(١ راجع Morini: *De* و Giorgi: *De Liturgia Rom.*, *Roma* 1744 p. 13 *sacris ordinationibus*, III, Exerc. VIII, c. 1

جعل الكرادلة من رتبة الكهنة يرافقونهُ ايضاً في تلاوة هذا القسم الجوهريّ » وقد شهد الكتبة على دخول هذه العادة في كنيسة رومية . اما خارجاً عنها فلم نجد في كتب القدماء شيئاً يؤيد رأي من يحتم على الكهنة عند اشتراكهم بالذبيحة ان يتلوا جميعهم الكلام الجوهري . ولا يُبطل قولنا عادةُ الاساقفة والكهنة الجدد في تلاوتهم كلّ صلوات القداس دون استثناء لأننا بيّنا سابقاً ان هذه الرتب حديثة النشأة

اما بقية الطوائف الكاثوليكية في الشرق كالموارنة (١ والسريان فانهم قد ابطلوا بحكم مجامعهم هذه العادة واقتدوا بالكنائس الغربية فلا ترى بينهم اثراً للاشتراك في التقديس

ومما تقدّم يمكننا الآن ان ندرك ما ورد مراراً في قوانين الكنيسة القديمة بخصوص العقابات الكنسية والنهي عن مشاركة الاسرار . فان الذي كانت تحرمهُ الكنيسة من اسرارها ليس فقط لم يَسُغ لهُ ان يتناول القربان لكنهُ ايضاً كان يُحظَر عليهِ ان يقرّب التقدمة للهيكل وان كان من اعداد الاكليروس لم يُسمح لهُ بتتميم واجبات رتبتهِ . وبعكس ذلك من كان يُقبل في شركة الكنيسة كان يرخَّص لهُ بان ينتظم في سلك الكهنة ويتلو صلواتهم المقدّسة وينال منهم قبلة السلام ويشاركهم في تناول القربان الواحد والشرب من الكأس الواحدة فيصرّح امام الجمهور اتفاقهُ مع الكنيسة جمعاء بالمحبّة ووحدة الايمان كما جاء في سفر اعمال الرسل (٢ : ٤٤—٤٦) : « وكان جميع المؤمنين معاً وكان كلّ شيء مشتركاً بينهم . . . ويلازمون الهيكل كلّ يوم بنفس واحدة ويكسرون الخبز . . . »

---

١) قد قلنا في كلامنا على هذه المقالة سابقاً انّ كهنة الموارنة لا يزالون الى يومنا هذا يشتركون في تقديس ذبيحة واحدة (راجع المشرق ص ٦٣٠) فلا يلبس الحلّة الّا متولي الذبيحة اما بقيّة الكهنة فيكتفون بالبطرشيل وهم يقتسمون صلوات التقديس بينهم فالانجيل مثلاً يقرأهُ في الغالب الكاهن الثاني . اما الكلام الجوهري فيتلونهُ جميعاً ويتناولون من يد المتقدّم . ونظنُّ انّ اليعاقبة والنساطرة يحافظون الى يومنا على عادة القدّاس الاشتراكي وفقاً لطقوسهم القديمة (المشرق)